إنَّ التّحوّل من لفظ: «شهيدا» في حقّ عيسى عليه السَّلام إلى لفظ: «الرقيب» في حقّ الذّات العليَّة إلى لفظ: «شهيد» أظهر البون الشَّاسع على حقيقته بين لفظ: «شهيدا» في حقّ عيسى عليه السَّلام عبد الله تعالى ورسوله المصطفى المختار الّذي لا حول له ولا قوَّة إلاَّ بالله العليّ العظيم، وبين لفظ: «شهيد» في حقّ الذّات العليَّة التي قالت في حقّ عيسى عليه السَّلام كن من غير أبٍ فكان.

ولمّا كان الملك في ذلك اليوم المجموع له النَّاس المشهود لله الواحد القهّار، فقد جاء على لسان عيسى عليه السَّلام ما يفيد هذا المعنى وذلك في:

الآية رقم (١١٨)

قال تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو دائماً وأبداً العزيز في ملكه الحكيم في صنعه. وفي يوم القيامة الملك لله تعالى الواحد القهّار. إنَّه جلّ وعلا إن شاء عذّب المستحقّين للعذاب، فإنَّ النَّاس عباد الله تعالى يفعل بهم ما يشاء، ومن ذلك أن يعذّبهم جلّ وعلا بعدله: ﴿إن تعذّبهم فإنَّهم عبادك﴾، وإنَّ لسان الحال يقول: إن تعذّبهم فإنَّهم عبادك لأنَّك أنت العزيز الحكيم. وإنَّه جلّ وعلا إن شاء غفر للنَّاس ذنوبهم، لأنّه جلّ وعلا هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه. ويلاحظ أنَّ عيسى عليه السَّلام في يوم القيامة المجموع له النَّاس المشهود يقول لله تعالى الّذي بيده ملكوت كلّ شيء في حقّ الغلاة من أتباعه عليه الصَّلاة والسَّلام إنَّك يا ربّ أنت العزيز

الحكيم في حال تعذيب القوم وفي حال غفرانك ذنوبهم. ومن البيِّن أنَّ وصف عيسى عليه السَّلام البارىء جلّ وعلا بالعزّة والحكمة في ذلك الموقف العصيب والمشهد المهيب مؤكّد للفصل الأكيد الّذي تبيّناه في كلّ المواقف بين مقام الألوهيّة وبين مكان العبوديّة ومتمشٌّ مع قول الحقّ جلّ وعلا[1]: ﴿لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسْألون﴾.

أما وقد ثبت صدق النَّبيّين، وتبيَّن أنَّ هناك عاصين إن شاء الله تعالى عذّبهم بعدله أو غفر لهم بفضله، وإلى هؤلاء أشارت الآية الكريمة، وأنَّ هناك مؤمنين متّقين لهم جنّات النَّعيم والرضوان من الله تعالى عليهم المقيم فقد تحدَّثت الآية الكريمة التّالية عن الصّادقين المتّقين، وهي على لسان ربّ العزّة، فإلى:

الآية رقم (١١٩)

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾.

إنَّ ربّ العزّة ذا الجلال والإكرام يقول عن يوم القيامة وقوله الحقّ: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾، كعيسى عليه السَّلام وسائر النَّبيّين والمرسلين وتمام المنعم عليهم من الصّدّيقين والشّهداء والصالحين. إنّ لهؤلاء الصادقين المنعم عليهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربّهم جلّ وعلا. إنَّ الله سبحانه وتعالى رضي عن هؤلاء لحسن العمل وإنَّ هؤلاء الصادقين المنعم عليهم رضوا عنه جلّ وعلا لحسن الثّواب. إنَّ ذلك الرّضا هو الفوز العظيم والفلاح الكبير.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣. وانظر هنا الكلام القيّم لابن القيم في (التفسير القيّم) ص٣٦ .

وتختم السورة بالآية الكريمة التي تبيِّن ملك الله تعالى العظيم وقدرته المطلقة جلّ وعلا، وهي:

الآية رقم (١٢٠)

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾.

إنَّ لِلهِ سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض وما فيهنّ وما بينهنَّ ومن فيهنّ. وإنما استعملت «ما» وهي لغير العاقل في القول: «وما فيهنّ» تغليباً لغير العاقل لكثرته.

وتختم الآية الكريمة بل السورة الكريمة بالقول: ﴿وهو على كلّ شيءٍ قدير﴾، إنَّ الله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ قدير، ومن ذلك جمع الخلائق يوم القيامة فحسابهم فثوابهم أو عقابهم.

وصلَّى الله وسلَّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الأحد ١٧/١/١٤١٢هـ
الموافق ٢٨/٧/١٩٩١م

كتبه الفقير إلى عفو ربه
الدكتور حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
بجامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

الخاتمة

بعونٍ من الله تعالى وفضل درسنا في الصَّفحات السَّابقة سورة المائدة المدنيَّة دراسةً متأمّلة. ولمّا كان في السّورة الكريمة الكثير من الأحكام وكانت السّورة الكريمة من آخر ما نزل على المصطفى ﷺ من أحكام، فإنَّ أحكام هذه السّورة الكريمة في رأي جمهور العلماء محكمة وغير منسوخة، بما في ذلك الآية الكريمة السّادسة بعد المائة التي تتحدَّث عن الشَّاهدين الاثنين من غير المسلمين إذا حضرت أسبابُ الموت واحداً من المسلمين في غير بلاد الإسلام ولم يكن هنالك شاهدان من المسلمين. وقد أمكن تقسيم السّورة الكريمة سبعة عشر قسماً، أخذ كلّ قسمٍ عنواناً خاصّاً به.

لقد درسنا الآيات (١ ــ ٣) تحت عنوان: «الأمر بالوفاء بالعقود والتّعاون على البرّ والتَّقوى والبشارة بكمال الدّين». وقد نادت الآية الكريمة الأولى الّذين آمنوا، وأمرتهم بالوفاء بالعقود أي العهود، وبيَّنت لهم أنَّ الله سبحانه وتعالى أحلّ لهم بهيمة الأنعام باستثناء ما سوف يُتْلى عليهم، وكان ذلك في الآية الكريمة الثالثة، ونهتهم عن صيد البرّ وهم محرمون. ولمّا كان في الآية الكريمة العديد من الأحكام فقد ختمت بالقول: ﴿إنَّ الله يحكم ما يريد﴾، وكذلك نادت الآية الكريمة الثانية الّذين آمنوا ونهتهم أن يحلّوا شعائر الله تعالى ومحارمه وفي مقدّمتها الصيد وهم محرمون، كما نهتهم أن يحلّوا الأشهر الأربعة الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب، وأن يحلّوا ما يُهْدَى إلى البيت الحرام من

الهدي غير المقلّد بقلائد والهدي المقلّد بأن يعتدوا عليه، وأن يمنعوا آمّين البيت الحرام وقاصديه بحجٍّ أو عمرة يبتغون فضلاً من ربّهم جلّ وعلا ورضوانا. وتأمرهم أمر إباحةٍ بأن يصطادوا بعد فكّ الإحرام. وقد نهت الآية الكريمة المؤمنين أن يحملهم بغض قومٍ لأجل أن صدّوهم في عمرة الحديبية عن المسجد الحرام أن يعتدوا عليهم، وأمرتهم بالتّعاون على البرّ والتّقوى ونهتهم عن الإثم والعدوان. وقد فُهِم من النّظم أنَّ عدم التّعاون على البرّ يؤدّي إلى الإثم وأن عدم التّقوى يؤدّي إلى العدوان. وكان الحديث عن التّقوى بمعناها الخاصّ موطّئاً للأمر بها في القول: ﴿واتقوا الله﴾ وللتّحذير من عقاب الله تعالى الشّديد: ﴿إنَّ الله شديد العقاب﴾.

ولمّا كانت الآية الأولى قد جاء فيها القول: ﴿إلاَّ ما يُتْلَى عليكم﴾، تنبيهاً إلى المحرّمات من بهيمة الأنعام فقد تحدَّثت الآية الكريمة الثّالثة في هذه المحرّمات وفق نسقٍ بديع راعى الحالة الأصليّة والأكثر حدوثاً فقدّم كلاًّ منهما، ولهذا تقدَّمت الميتة في الذّكر، وتقدّمت المنخنقة بعد ذلك. وكان الحديث عن الذبح على النّصب والاستقسام بالأزلام اللّذين ذهبا كأمس الدّابر موطّئاً للحديث عن الكفر الّذي ذهب كأمس الدّابر ويأس الكافرين من ارتداد المسلمين عن دينهم. وكان الحديث عن الدّين موطّئاً للحديث عن دين الإسلام الّذي أكمله الله تعالى ورضيه لنا وعن النّعمة التي أتمّها الله تعالى علينا. ولمّا كان الله سبحانه وتعالى يريد بنا اليسر لا العسر فقد أباح جلّ لنا عند الضّرورة أن نأكل من هذه المحرّمات ما ندفع به الموت عن أنفسنا.

وتحت عنوان: «أحلّ الله لنا الطّيّبات من الطّعام والعفيفات من النّساء وبيان كيفيّة الوضوء والتّيمّم»، درسنا الآيات الكريمات (٤ ــ ٧) والآية

الكريمة الأولى تبدأ بجملة: «يسألونك» التي تشير في هذه الآية الكريمة وفي عددٍ قليلٍ من الآيات الكريمات الأُخَر إلى أسئلة الصَّحابة المصطفى ﷺ وإلى قلّة هذه الأسئلة. إنَّهم يسألون هنا عمّا أحلّ الله تعالى لهم من الأطعمة في المقام الأوّل ويكون الجواب بأنَّ الله سبحانه وتعالى أحلّ لهم الطّيّبات غير المحرّمات وغير الخبائث كما أحلّ جلّ وعلا لهم صيد ما علّموا من الجّوارح من الكلاب وسباع البهائم والطّير. إنَّ من حقّهم أن يأكلوا ممّا أمسكن عليهم إذا ذكروا اسم الله تعالى عند الإرسال وعند الأكل، وإنَّ عليهم أن يتّقوا الله تعالى السَّريع الحساب. وقد كان الوقوف مليّاً عند: «الجوارح» و: «مكلّبين» وقد تبيَّن أنَّ للفظة الجوارح معنيين اثنين يصبغانها بلونيهما، الجرح بمعنى الكسب، والجرح بمعنى إسالة الدّم. كما تبيَّن أنَّ للقول: «مكلّبين» معنيين اثنين كذلك، مكلّبين بمعنى مستعملين في عمليّة الصّيد الكلاب في المقام الأوّل وما شاكلها من سباع البهائم والطّير. ومكلّبين بمعنى معلّمين هذه الجوارح آداب الصّيد. ولمّا كانت الآية الكريمة الثالثة من السّورة الكريمة قد أشارت إلى يوم عرفة في حجّة الوداع الّذي كان يوم جمعة وفي هذا اليوم أكمل الله تعالى لنا دين الإسلام فإنَّ الآية الكريمة التّالية تبدأ بذكر ذلك اليوم وتقرّر أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أحلّ لنا فيه كلّ الطّيّبات. ومن هذه الطّيّبات ذبائح أهل الكتاب في حقّنا لأنَّهم يذكرون اسم الله تعالى عليها عند الذّبح، وذبائحنا في حقّهم. ويدخل ما دون الذّبائح في الطّيّبات من باب الأَحْرى والأَوْلى. ومن هذه الطّيّبات نكاح العفيفات من المؤمنات ونكاح العفيفات من أهل الكتاب إذا أعطى المؤمنون زوجاتهم مهورهنّ متزوّجين بهنّ غير زانين بهنّ علانيةً أو سراً. وتحذّر الآية الكريمة من الكفر فإنَّه يحبط العمل الصَّالح ويهوى

بصاحبه في قاع الجحيم. وبعد التّحذير من الكفر والحثّ على الإيمان ضمناً ترشد الآية الكريمة التّالية الّذين آمنوا إلى الطّهارة من الحدث الأصغر والأكبر إذا قاموا إلى الصّلاة عماد الدّين فتشير إلى كيفيّة الوضوء من الحدث الأصغر وإلى الغسل من الجنابة وإلى التّيمّم في حال عدم وجود الماء أو عدم القدرة على استعماله. وقد فُهِم من ذكر الأعضاء مرتّبةً وجوب مراعاة التّرتيب في الوضوء. وقد وقفنا عند لفظة: «الغائط» بمعنى المنخفض من الأرض أساساً وبمعنى قضاء الحاجة بعد ذلك. وعند جملة: «لامستم النّساء» بمعنى جامعتموهنّ. وفي كلٍّ كنايةٌ لطيفة تتّصل بآداب القرآن الكريم. وتنفي الآية الكريمة إرادة المشقّة بهذه التّكاليف وتقرّر أنّ ذلك بقصد تطهير الظّاهر وتطهير الباطن بالإيمان وإقامة الصّلاة عمود الدّين، وبقصد إتمام النّعمة لعلّنا نشكر لله تعالى نعمه وآلاءه. والآية الكريمة الأخيرة في القسم تأمر الّذين آمنوا أن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم والعهد المؤكّد المأخوذ عليهم بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له. إنّ عليهم أن يتّقوا الله تعالى العليم بذات الصدور.

وتحت عنوان: «قوموا بالحقّ واشهدوا بالعدل لله واذكروا نعمه واتّقوه وتوكّلوا عليه»، درسنا الآيات الكريمات (٨ ــ ١١) إنّ السّياق يأمر الّذين آمنوا بأن يكون قوّامين بالحقّ لله تعالى شهداء بالقسط وبالعدل له جلّ وعلا، وينهى الّذين آمنوا أن يحملهم بغض قوم لأن صدّوهم عن المسجد الحرام ألاّ يعدلوا معهم. إنّ عليهم أن يعدلوا وأن يتّقوا الله تعالى الخبير بما يعملون. إنّ للمؤمنين الّذين يعملون الصّالحات مغفرةً وأجراً عظيماً. وإنّ للّذين كفروا وكذّبوا بآيات الله تعالى عذاباً أليماً. وإنّ على الّذين آمنوا أن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم وأن يشكروا له جلّ وعلا آلاءه حينما كفّ

أيدي الّذين همّوا أن يبسطوا إلى المؤمنين أيديهم بالسّوء وهم يهود بني النّضير ومن لفّ لفّهم. وإنَّ عليهم أن يتّقوا الله تعالى وأن يتوكّلوا عليه جلّ وعلا وحده لا شريك له.

وتحت عنوان: «نقض أهل الكتاب الميثاق وعليهم اتّباع الرّسول الخاتم محمد ﷺ»، درسنا الآيات الكريمات (١٢ ــ ١٩).

أشار السّياق إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى أخذ من بني إسرائيل الميثاق وبعث منهم على عهد موسى عليه السّلام اثني عشر نقيباً وكفيلاً أميناً ضامناً على القوم، وقال الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل إنَّه جلّ وعلا معهم إذا حقّقوا بنود الميثاق التي تبدأ بإفراد الله تعالى بالعبادة. وإنَّ من أهم بنود الميثاق إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة والإيمان بالرّسل ونُصْرتهم والإنفاق في سبيل الله تعالى. وإنَّ من مظاهر الثّواب تكفير السّيّئات والإدخال في جنّات النعيم وليس بعد الحقّ إلاَّ الضّلال وسوء المآل. وتذكر الآية الكريمة التّالية أهمّ بنود نقض الميثاق مع إضافة الجديد المفيد. إنَّهم نقضوا الميثاق بدلاً من الوفاء به فاستحقّوا اللّعن بمعنى الطّرد من رحمة الله تعالى وأن يزيد قلوبهم قسوةً إلى قسوتها وها هم أولاء يحرّفون الكلم عنْ مواضعه وينسون نصيباً ممّا ذكّروا به ولا يزال المصطفى ﷺ يطّلع على فرقةٍ خائنةٍ منهم. ويأمر السّياق المصطفى ﷺ بالعفو عنهم وبالصّفح فإنَّ الله سبحانه وتعالى يحبّ المحسنين. وعلى غرار نقض بني إسرائيل الميثاق نقض النّصارى وعلى غرار أليم العذاب عقاباً لأولئك كان أليم العذاب عقاباً لهؤلاء فها هي ذي طوائف النّصارى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً إلى يوم الدّين، ويوم القيامة لهم أليم العذاب. ولمّا كانت رسالة المصطفى ﷺ عالميّة فإنَّ السّياق ينادي أهل الكتاب ويخبرهم بأنهم قد جاءهم رسول الله

تعالى إليهم محمد بن عبد الله ﷺ الّذي يبيِّن لهم كثيراً ممّا يخفون من أسرار التّوراة والإنجيل عن الخاصّة فضلاً عن العامّة ويترك كثيراً لا يبيِّنه لأنّ الخير في السّكوت. لقد جاء أهل الكتاب من الله تعالى نورٌ هو المصطفى ﷺ وكتابٌ مبين هو القرآن الكريم يهدي به الله تعالى من اتّبع رضوانه سبل السّلامة ويخرجهم من الظّلمات بأنواعها إلى نور الإسلام، بإذنه جلّ وعلا ويهديهم إلى الصّراط المستقيم والطّريق القويم. وبما أنَّ النّصارى غالوا في عيسى عليه السّلام فقد نصّ السّياق على كفر الّذين قالوا إنَّ الله هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السّلام الّذي خلقه الله تعالى من أنثى ولا ذكر. إنَّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ أن يقول لأولئك الغالين: من يملك من الله تعالى شيئاً إن أراد جلّ وعلا أن يهلك المسيح عليه السّلام وأمّه مريم البتول ومن في الأرض جميعاً. والجواب بطبيعة الحال معروف. وقد نصّ السّياق على ملك الله تعالى للسّماوات والأرض وما بينهما، وعلى خلق الله تعالى القادر على كلّ شيء ومن ذلك عيسى عليه السّلام. وتجاه زعم اليهود والنّصارى أنّهم بمنزلة الأبناء من الله تعالى في الحبّ وفي القرب يسأل السّياق في إنكار: لماذا يعذّبكم الله تعالى بذنوبكم حسب اعترافكم إذا كنتم بمنزلة الأبناء والمعروف أنَّ الحبيب لا يعذّب حبيبه فكيف يعذّب أبناءه! ويبيِّن السّياق المعنى الصّحيح: ﴿بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء. ولله ملك السّماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾. ويعود السّياق إلى مخاطبة أهل الكتاب مقرّراً أنَّ محمد بن عبد الله ﷺ رسول الله تعالى قد جاءهم يبيِّن لهم على فترةٍ وانقطاعٍ من الرّسل لئلاَّ يقولوا إنّهم ما جاءهم من بشيرٍ ولا نذيرٍ. لقد جاءهم بشيرٌ ونذير من الله تعالى القدير على كلّ شيء.

وتحت عنوان: «القدس محرّمةٌ على بني إسرائيل»، درسنا الآيات الكريمات (٢٠ ــ ٢٦) يشير السّياق إلى خطاب موسى عليه السّلام قومه وأمره لهم بأن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم إذ جعل فيهم أنبياء دون انقطاع، وجعلهم ملوكاً ذوي سلطان وعزّ وجاه وثراء، وآتاهم جلّ وعلا ما لم يؤت أحداً من عالمي زمانهم في مجال الدّنيا والدّين. كما أمرهم عليه السّلام بأن يدخلوا الأرض المقدّسة التي كتبها الله تعالى لهم والتي كانوا على مشارفها ونهاهم عن الارتداد على الأدبار والانقلاب بالخسران المبين. إنَّ بني إسرائيل الجبناء يعتذرون عن دخول الأرض المقدّسة لوجود القوم الجبّارين بها ويعلنون أنّهم لن يدخلوها حتى يخرج أولئك الجبّارون منها. ورغم وعد الرَّجلين المنعم عليهما، اللّذين يخافان الله تعالى، بالنُّصرة على الأعداء بمجرّد دخولهم باب المدينة على الجبّارين شريطة التوكّل على الله تعالى فإنَّهم يصرّون على عدم الدّخول ما دام الجبّارون فيها. بل إنَّهم لينحطّون في الوقاحة إلى الدّرك الّذي يجيء على لسانهم خطاباً لموسى عليه السّلام قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنَّا هٰهنا قاعدون﴾، ويفرّ موسى عليه السّلام الّذي لا يملك سوى نفسه وأخيه هارون عليه السّلام إلى أحكم الحاكمين ويطلب منه جلّ وعلا أن يفرق بينهم، هو وأخيه والمؤمنين، وبين القوم الفاسقين. ويقرّر السّياق أنَّ ربّ العزّة قد حرّم على بني إسرائيل الأرض المقدّسة: ﴿قال فإنَّها محرَّمةٌ عليهم﴾، كما يبيِّن أنَّ ربّ العزّة قد كتب عليهم التّيه أربعين سنة فعلى موسى عليه السّلام ألاَّ يأسى على القوم الفاسقين: ﴿أربعين سنةً يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾، وإنَّ تحديد الآية الكريمة الفترة بأربعين سنة ينبّه إلى أنَّ الأربعين سنةً كفيلةٌ بإذن الله تعالى بإحلال الجيل

الّذي نشأ في الحرّيّة محلّ الجيل الّذي حطّمت معنويّاته حياة العبوديّة. وإنَّ من أقرب الأدلّة على هذا المظهر الحسابيّ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم أنَّ ثورة أطفال الحجارة في فلسطين المحتلّة بدأت بعد مرور أربعين سنة من قيام دولة البغي في أرض فلسطين بالتّمام والكمال. فسبحان الله الّذي لا إله إلاَّ هو عالم الغيب والشّهادة العزيز الحكيم.

وتحت عنوان: «قتل النّفس الواحدة كقتل كلّ الأنفس في العذاب، وإحياء النّفس الواحدة كإحياء كلّ الأنفس في الثّواب»، درسنا الآيات الكريمات (٢٧ ـ ٣٢) تدور آيات القسم السّابق حول نكوص بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدّسة وجراءتهم على رسول الله تعالى إليهم بل وعلى الله تعالى. وتدور آيات هذا القسم حول نبأ ابني آدم الّذي تُلِي على بني إسرائيل والّذي بنيت عليه أحكام في حقّهم. إنَّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ أن يتلو على بني إسرائيل نبأ ابني آدم عليه السّلام أبي البشر هابيل صاحب الضّرع الّذي تقبّل الله تعالى قربانه وقابيل صاحب الزّرع الّذي لم يتقبّل الله تعالى قربانه فقال لأخيه بصريح اللفظ: ﴿لأقتلنّك﴾ وكان جواب هابيل مبيّناً سبب الفضل من الله تعالى عليه بتقبّل قربانه: ﴿إنَّما يتقبّل الله من المتّقين﴾، وكان الكلام الّذي جرى على لسان هابيل مبيّناً حقيقة تقواه رغم كونه الأقوى ومبيّناً عدوان أخيه الشّقيّ غير التّقيّ. ونفّذ قابيل تهديده وقتل أخاه فكان من الخاسرين. وقد عذّبه الله تعالى في الدّنيا قبل الآخرة بأن جهل الكيفيّة التي يستطيع بواسطتها أن يتخلّص من جيفة أخيه حتّى علّمه الله تعالى بواسطة الغراب الّذي بعثه الله تعالى فحثا التّراب على جيفة غرابٍ مثله ففعل قابيل بهابيل ما فعل الغراب بأخيه وكان قابيل من النّادمين. ربّما بسبب جهده الضّائع في حمل الجيفة وربّما بسبب

استيقاظ ضميره بعد إغفاء. وقد نصّ السّياق على الحكمة التي نالت بني إسرائيل من حادثة القتل الأولى هذه، فقد كتب الله تعالى على بني إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير نفس أو قتل نفساً بغير فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعاً لأنّ النفوس في حقّه سواءٌ في الهوان. وفي المقابل من أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعاً لأنّ النّفوس في حقّه سواء في النّفاسة. إنّ رسل الله تعالى جاءت بني إسرائيل بهذه المعاني ولكنّ كثيراً منهم بعد ذلك لمسرفون بالاعتداء حتّى محاولة القتل بل القتل. وقد حاول بنو إسرائيل قتل المصطفى ﷺ العديد من المرّات ولكنّ الله سبحانه وتعالى عصمه عليه الصّلاة والسّلام من الناس.

وتحت عنوان: «جزاء المحاربين لله ورسوله السّاعين في الأرض فساداً»، درسنا الآيات (٣٣ ـ ٤٠) تحدّث السّياق من ذي قبل عن قتل أحد ابني آدم أخاه وما كتبه الله تعالى على بني إسرائيل بأنّ من قتل نفساً بغير حقّ فكأنّما قتل النّاس جميعاً ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعاً. ويتحدّث السّياق عن جزاء قطّاع الطّرق، ومن أعمالهم القتل، وعن جزاء السّارقين والسّارقات. إنّ قطّاع الطّرق إن قَتَلوا قُتِلوا، وإن قتلوا وسرقوا قُتِلوا وصُلبوا، وإن سرقوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن أخافوا السّبيل نُفوا من أرض الجريمة. إنّ هذا خزيٌ لهم في الدّنيا وإنّ لهم في الآخرة عذاباً أليماً. ويفتح السّياق باب التّوبة قبل قدرة السّلطة على قطّاع الطّرق الّذين يسقط عنهم بالتّوبة حقّ الله تعالى في رأي الجمهور. ويحثّ السّياق على مزيد الإيمان ويحذّر من عذاب الكافرين يوم القيامة. وبشأن جزاء السّارقين والسّارقات وهو قطع الأيدي نتبيّن أنّ هذا القطع جزءٌ من قطع أيدي قطّاع الطّريق وأرجلهم من خلاف في حال السّرقة وقطع السّبيل

وكأنّ زيادة قطع الأرجل في حقهم في مقابل إخافة السَّبيل وراء السّرقة. وقد راعنا التّوافق بين العجز والصّدر في الآيات الكريمات الثلاث. بعد الأمر بالقطع نكالاً من الله تعالى جاء النّصّ على عزّة العزيز وحكمته. وبعد النّصّ على قبول الله تعالى توبة الظّالم نفسه وصالح العمل جاء النّصّ على مغفرة الله تعالى ورحمته. وبعد تقرير ملك الله تعالى السّماوات والأرض وتعذيب من يريد تعذيبه ومغفرة ذنب من يريد مغفرة ذنبه جاء النّصّ على قدرة الله تعالى على كلّ شيء. هذا إلى أنَّ النَّصّ على التَّعذيب أوّلاً يتمشّى مع الأمر بالقطع أوّلاً، والنصّ على المغفرة آخراً يتمشّى مع قبول التَّوبة آخراً.

وتحت عنوان: «الّذين لا يحكمون بما أنزل الله تعالى كافرون وظالمون وفاسقون»، درسنا الآيات الكريمات (٤١ ــ ٤٧) يبدأ السّياق بنداء الرسول ﷺ: ﴿يا أيُّها الرَّسول﴾ في واحدٍ من موضعين اثنين في القرآن الكريم كلّه، وكلا الموضعين في سورة المائدة، وينهاه عليه الصَّلاة والسَّلام عن أن يحزن بسبب مسارعة المنافقين في الكفر. ويلحق بالمنافقين الّذين هادوا السّمّاعون من أحبارهم للكذب سماع قبول السّمّاعون لقومٍ آخرين من اليهود لم يأتوا المصطفى ﷺ والّذين يحرّفون الكلام من بعد مواضعه التي وضعه الله تعالى عليها والّذين يقولون لمبعوثيهم إن أعطاكم النَّبيّ محمد ﷺ هذا الحكم الّذي ابتدعتموه في حقّ الزّاني المحصن ووافقكم على مخالفة حكم التَّوراة فخذوا هذا الحكم وإلاَّ فاحذروا قبول حكم الله تعالى في التّوراة وعلى لسان محمد ﷺ. ويقرّر السّياق أنَّ الّذي يريد الله تعالى فتنته وصرفه عن الحقّ فلن يملك له الرَّسول الكريم من الله تعالى شيئاً. إنَّ أولئك هم الّذين لم يرد الله تعالى أن يطهّر قلوبهم لهم في

الدّنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم. إنَّ أولئك سمّاعون للكذب سماع قبول أكّالون للسّحت من رِباً ورشاً وما إليهما. والرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام مخيّرٌ بين أن يحكم بينهم أو أن يعرض عنهم. إنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام إن يعرض عن الحكم بين اليهود فلن يضرّوه شيئاً وإن حكم عليه الصَّلاة والسَّلام فليحكم بينهم بالعدل. إنَّ الله تعالى يحبّ المقسطين. وينكر السّياق على بني إسرائيل أن يحكّموه عليه الصَّلاة والسَّلام وعندهم التَّوراة فيها حكم الله تعالى ولكنَّهم لا يريدون حكم الله تعالى لأنَّهم ليسوا مؤمنين على الحقيقة. ويقرّر السّياق أنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل التّوراة على موسى عليه السَّلام فيها هدىً ونورٌ في مجال الأحكام وغير الأحكام وبها يحكم أنبياء بني إسرائيل لبني إسرائيل وعليهم كما يحكم بها الرّبّانيّون والأحبار الّذين طُلِب منهم أن يحفظوا التَّوراة نصّاً وروحاً وأن يخشوا الله تعالى وحده لا شريك له وأن يحكموا بالتَّوراة وإلاَّ كانوا كافرين. ويعيّن السّياق بعض أنواع الحكم في التّوراة ويحثّ المجنيّ عليه على الصَّدقة بحقّه من الجاني فإنَّ ذلك كفّارةٌ له، كما يقرّر أنَّ من لم يحكم بما أنزل الله تعالى فأولئك هم الظالمون. وقد كان بنو إسرائيل كافرين بجحدهم أحكام الله تعالى، ظالمين بسبب عدم العدل في تطبيق الأحكام. وقد أرسل الله تعالى عيسى عليه السَّلام، آخر أنبياء بني إسرائيل مصدّقاً للتَّوراة، وآتاه الإنجيل المكمل للتَّوراة المصدّق لها والّذي فيه هدى ونور وموعظة. إنَّ على أهل الإنجيل أن يحكموا به وإلاَّ كانوا فاسقين خارجين على الصِّراط المستقيم. والمعروف أنَّ أهل الإنجيل لم يحكموا بما فيه.

وتحت عنوان: «لا أحد أحسن من الله حكماً»، درسنا الآيات الكريمات (٤٨ ــ ٥٠) ويقرّر السّياق ابتداءً إنزال الله تعالى القرآن الكريم

مصدّقاً للكتب السّماويّة السّابقة ومهيمناً عليها شاهداً بصحّتها. فعلى المصطفى ﷺ أن يحكم بما أنزل الله تعالى بين بني إسرائيل وبذلك نُسِخ تخييره عليه الصَّلاة والسَّلام بين أن يحكم بينهم وبين ألاَّ يحكم. ويحذّر عليه الصَّلاة والسَّلام من اتّباع هوى بني إسرائيل وانصرافه عمّا جاءه من الحقّ، ويقرّر السّياق أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لكلّ أمّةٍ شرعةً ومنهاجاً. وقد وقفنا عند تطوّر دلالة كلٍّ من اللفظتين. إنَّ لفظة شرعة تعني في المحسوسات الطرق المؤدية إلى الماء، وإنَّ لفظة منهاج تعني في المحسوسات الطريق الواضح الواسع المستقيم. إنَّ كلاًّ من شرعة ومنهاج يؤدّيان في المعنويّات إلى غاية واحدة هي توحيد الله تعالى وإفراده جلّ وعلا بالعبادة. لقد بيَّنت الآية الكريمة الحكمة من إرسال الرّسل وتعدّد الشرائع واختلاف الأمم إلى أن بعث الله تعالى خاتم النَّبيّين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ بدين الإسلام الناسخ لكل دين فعلى الناس جميعاً أن يتحوّلوا مسلمين لله رب العالمين، وعلى المصطفى ﷺ أن يحذر أعداء الله تعالى أن يفتنوه عليه الصَّلاة والسَّلام عن بعض ما أنزل الله تعالى إليه وبخاصَّةٍ في مجال الأحكام. إنَّ القوم في حال الإصرار على الإعراض فلأنَّهم فاسقون ولأنَّ الله تعالى يريد أن يصيبهم ببعض ذنوبهم، وبخاصَّةٍ حال الإعراض عن الأحكام السّماويّة وإيثارهم الأحكام الجاهليّة.

وتحت عنوان: «لا تتَّخذوا اليهود والنَّصارى والمستهزئين أولياء وثواب المؤمنين وعقاب الكافرين»، درسنا الآيات الكريمات (٥١ ــ ٦٦) ينهى السّياق الّذين آمنوا عن اتّخاذ اليهود والنَّصارى أولياء لأنَّ بعضهم أولياء بعض ولأنَّ الكفر ملَّة واحدة. ويلحق بالكافرين المنافقون الّذين يبطنون الكفر ويسارعون في الكافرين خوفاً من أن تدور الدّائرة على

المؤمنين وهم مندسّون فيهم. ويجيء في الرّدّ على هؤلاء الجبناء القول: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين﴾، ولهول المؤمنين من غشّ المنافقين لهم يسألون في إنكار: أهؤلاء المنافقون الّذين فضحهم الله تعالى هم الّذين أقسموا بالله العظيم إنَّهم لمع المؤمنين! إنَّ هؤلاء المنافقين قد حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين، ويصحّ أن يكون هذا الموقف منهم تعبيراً عن ارتدادهم ــ والعياذ بالله ــ عن الإسلام وهنا يحذّر السّياق الّذين يرتدّون عن دين الإسلام من العقاب الّذي ينتظرهم في الدّنيا بهزيمتهم أمام المؤمنين قبل الآخرة. إنَّ هؤلاء المؤمنين سوف يأتي الله تعالى بهم، ومن سماتهم أنَّهم يحبّهم الله تعالى ويحبّونه جلّ وعلا، وأنَّهم أذلّة على المؤمنين لفرط حبّهم لهم أعزّةٌ على الكافرين وأنَّهم يجاهدون في سبيل الله تعالى ولا يخافون لومة لائم. إنَّ ذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء وهو جلّ وعلا الواسع العليم. ويعيّن السّياق أولياء المؤمنين. إنَّ وليّهم الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون الّذين يقيمون الصلاة جماعةً ومنفردين، فرضاً ونفلاً، والّذين يؤتون الزّكاة. إنَّ هؤلاء هم حزب الله تعالى الغالبون. وينهي السّياق الّذين آمنوا أن يتّخذوا الّذين اتّخذوا دينهم هزواً ولعباً من أهل الكتاب والكفّار أولياء ويأمرهم بتقوى الله تعالى. إنَّ هؤلاء الّذين لا يعقلون يتّخذون الصّلاة إذا نُودي إليها هزواً ولعباً، وإنَّ أهل الكتاب ينقمون على المؤمنين بينما الواجب عليهم أن يرضوا عنهم لأنَّ المؤمنين يؤمنون بالله تعالى وبالكتب السّماويّة كلّها ولكنَّ أكثر أهل الكتاب فاسقون، أمّا بنو إسرائيل فإنَّهم شرٌّ جزاءً عند الله تعالى لأنَّ الله سبحانه وتعالى لعنهم وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطّاغوت. إنَّ هؤلاء شرٌّ حالاً ومآلاً فهلاّ أصلحوا من شؤون

أنفسهم. وكما اندسّ في المؤمنين منافقون من العرب اندسّ فيهم منافقون من بني إسرائيل، وهؤلاء كسابقيهم دخلوا بالكفر في المسلمين وخرجوا به، وهم وراء ذلك يسارعون في الإثم والعدوان وأكل المال الحرام. لقد كان الأولى بالربّانيين والأحبار أن ينهوهم عن هذه الآثام ولكنهم لم يفعلوا لأنَّهم قُدْوتهم في عمل السّيِّئات. وقد تجاوزت اعتداءات بني إسرائيل عباد الله تعالى إلى الذّات العليّة وها هم أولاء يزعمون أنَّ يد الله مغلولة: ﴿كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلاَّ كذبا﴾، ويدعو السّياق عليهم بأن تُغَلّ أيديهم، ويلعنهم بسبب ما قالوا، ويقرّر السّياق أنَّ يد الله تعالى مبسوطة بكلّ خير، وأنَّ نزول آي الذّكر الحكيم لا تزيد اليهود إلاَّ عداوةً وبغضاً، طغياناً وكفراً، وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وأنَّ الله سبحانه وتعالى رادٌّ مختلف صور كيدهم إلى نحورهم. ويرشد السّياق أهل الكتاب إلى الطّريق القويم كي ينجحوا في الأولى والآخرة. إنَّ عليهم أن يقيموا التّوراة والإنجيل وفيهما البشارة بمحمد بن عبد الله ﷺ، وأن يقيموا ما أنزل الله تعالى إليهم وإلى كل الناس من قرآنٍ كريمٍ وكتابٍ عظيم، بأن يتحوّلوا مسلمين لله ربّ العالمين.

وتحت عنوان: «على الرَّسول البلاغ، وعلى النّاس الاتّباع، وإنَّ غلاة النَّصارى كافرون، وإنَّ كافري اليهود ملعونون»، درسنا الآيات الكريمات (٦٧ ــ ٨١) تبدأ أولى آيات القسم بالنّداء الثاني والأخير للرَّسول في السّورة الكريمة بل في القرآن الكريم كلّه وذلك في القول: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنْزِل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته﴾، وتقرّر أنَّ الله سبحانه وتعالى عصم المصطفى ﷺ من النّاس، وهم الكافرون الّذين لا يهديهم الله تعالى. ويأمر السّياق المصطفى ﷺ بأن يقول لأهل الكتاب

بأنَّهم ليسوا على شيءٍ معتدٍّ به في مجال الدّين حتى يقيموا التَّوراة والإنجيل وما أنزل الله تعالى إليهم من قرآنٍ كريم، ولا يزداد القوم بنزول آي الذكر الحكيم إلاَّ طغياناً وكفراً فعليه ﷺ ألاَّ يحزن على القوم الكافرين. ويبيِّن السّياق في المقابل أولئك الّذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون وهم الّذين يؤمنون بالله تعالى وباليوم الآخر ويعملون الصالحات بمقياس الإسلام. إنَّهم المؤمنون أتباع محمد بن عبد الله ﷺ والّذين دخلوا في دين الإسلام بعد أن كانوا يهوداً وصابئةً ونصارى. وبعد الحديث عن أهل الكتاب بعامّة يتحوّل السّياق إلى الحديث عن كلٍّ من اليهود والنَّصارى. إنَّ بني إسرائيل نقضوا الميثاق وكذّبوا رسل الله تعالى وقتلوا بعضهم وكان منهم تقلّبٌ بين الإدبار عن الله تعالى والإقبال عليه جلّ وعلا وكان عمى البصيرة والصَّمم عن سماع دعوة الحقّ سمة الكثيرين منهم. أمّا أتباع عيسى عليه السَّلام فقد كفر منهم الّذين قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم والّذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة مخالفين تعاليم المسيح عليه السَّلام نفسه مصرّين على كفرهم، غير مهتمّين بالعذاب الأليم الّذي ينتظرهم، غير تائبين إلى الله تعالى ولا مستغفرين. ويقرّر السّياق أن عيسى عليه السَّلام عبد الله ورسوله وأنَّ أمّه عليه السَّلام صدّيقة، وأنَّهما كانا يأكلان الطّعام فهما من جنس البشر، ومع كلّ ذلك يصرّ الغلاة من أتباعه عليه السَّلام على ضلالهم المبين، وعلى عبادة ما لا يملك لهم شيئاً، ولا يعبدون الله تعالى السَّميع العليم. وينهي السّياق النَّصارى عن الغلوّ في الدّين ويصفهم بالضَّلال، أمّا كافرو بني إسرائيل فإنَّ من نصيبهم اللَّعن على لسان داود وعيسى عليهما السَّلام بسبب اعتدائهم وعصيانهم، وسكوتهم على المنكر، وموالاتهم الكافرين. إنَّهم استحقّوا سخط الله تعالى عليهم والخلود في العذاب المهين بسبب

كفرهم بالنَّبـيّ ﷺ وبالقرآن الكريم وبسبب فسقهم وخروجهم من الصراط المستقيم.

وتحت عنوان: «أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا وأقربهم مودّةً لهم وأمرٌ للمؤمنين بالطّريق الوسط وكفّارة الأيمان»، درسنا الآيات الكريمات (٨٢ ــ ٨٩) يقرّر السّياق أنَّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا وأنَّ أقربهم مودّةً للّذين آمنوا الّذين قالوا إنَّهم نصارى بسبب أنَّ منهم قسّيسين ورهباناً وأنَّهم لا يستكبرون. وهؤلاء النَّصارى الّذين تلك صفتهم قد تحوّلوا مسلمين لله ربّ العالمين وهم إذا سمعوا القرآن الكريم فاضت أعينهم من الدّمع بسبب ما عرفوا من الحقّ الّذي آمنوا به ومن ثمّ هم يسألون الله تعالى أن يكتبهم مع الشّاهدين من أمّة محمد بن عبد الله ﷺ وأن يدخلهم مع القوم الصّالحين. وقد استجاب الله تعالى لهم فأدخلهم جنّات النّعيم. أمّا الكافرون فهم أصحاب الجحيم. ولمّا كان بنو إسرائيل مسرفين في المادّيّات وكان النَّصارى مسرفين في الرّوحانيّات وكانت الأمّة المسلمة قد أراد الله تعالى لها أن تكون أمّةً وسطاً فقد كان الحديث بعد ذلك في هذه الوسطيّة. إنَّ على المؤمنين ألاَّ يحرّموا طيّبات ما أحلّ الله تعالى لهم وألاَّ يعتدوا بإحلال ما حرَّم الله تعالى وعليهم بالطريق الوسط بأن يأكلوا ممّا رزقهم الله تعالى حلالاً طيّباً، وأن يتّقوا الله تعالى الّذي هم به مؤمنون. ولمّا كان بعض الصَّحابة قد حلف بألاَّ يقرب بعض الطيّبات كالنّساء واللَّحم اقتداءً بالرّهبان، ولمّا كان الإسلام لا رهبانيّة فيه، فقد أرشد السّياق إلى كفّارة الأيمان. وفي هذه الكفارة مصلحة الآخرين ابتداءً من إطعام وكسوة وعتق، ومصلحة الحانثين آخراً بصيام ثلاثة أيّام. هذا إلى بعض التّوجيهات بشأن الأيمان.

وتحت عنوان: «الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس»، درسنا الآيات الكريمات (٩٠ ــ ٩٣) ومن البيِّن أنَّ النَّهي عن هذه الخبائث امتدادٌ للنَّهي عن الاعتداء بإحلال ما حرّم الله تعالى. وكأنَّ ترتيب المحرّمات على هذا النَّحو الخمر الميسر الأنصاب الأزلام ينبّه إلى كثرة إتيانها على التَّوالي بدليل أنَّ السّياق سكت بعد ذلك عن الأنصاب والأزلام لاختفائهما من الوجود بفضل الله تعالى وتحدّث عن الخمر والميسر وفق ترتيب ذكرهما السّابق. وقد لفت انتباهنا ذكر العداوة والخمر والصدّ عن ذكر الله تعالى أوّلاً وذكر البغضاء والميسر والصدّ عن الصلاة آخراً وكأنَّ في ذلك تنبيهاً على شدّة الارتباط بين كلٍّ من العناصر الثَّلاثة في كلٍّ من الموضعين. وبعد النَّهي عن تلك المحرمات يأتي الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والحذر من العصيان فليس على الرّسول ﷺ سوى البلاغ المبين. ولمّا كان تحريم الخمر في هذا الموضع من القرآن الكريم نهائيّاً وكان بعض الصحابة يشربها من قبل حتى لحق بالرَّفيق الأعلى فقد كان في السّياق تنبيهٌ إلى أنَّه ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصالحات إثمٌ فيما طعموا من الخمر قبل التَّحريم النهائيّ إذا ما اتّقوا الله تعالى وآمنوا وعملوا الصالحات ثمّ اتّقوا وآمنوا ثم اتّقوا حتى بلغوا مرتبة الإحسان التي يحبّ الله تعالى أصحابها. إنَّ في ذلك تنبيهاً للأحياء بأنَّ عليهم وقد انتهوا عن شرب الخمر امتثالاً لأمر الله تعالى أن يحرصوا على تحقّق هذه النّعوت فيهم.

وتحت عنوان: «صيد البحر حلالٌ للمحرم وصيد البّر حرامٌ عليه وكفّارته»، درسنا الآيات الكريمات (٩٤ ــ ٩٦) ينادي السّياق الّذين آمنوا ويخبرهم أنَّ الله سبحانه وتعالى سوف يختبرهم وهم محرمون بحجٍّ أو عمرة بشيءٍ من الصّيد يغشاهم في رحالهم بحيث إنَّ أيديهم تنال صغاره

ورماحهم تنال كباره ليعلم جلّ وعلا علم ظهورٍ من يخافه بالغيب. أمّا من اعتدى بالصّيد بعد الإعلام فله عذابٌ أليم. وينادي السّياق كذلك الّذين آمنوا وينهاهم عن قتل صيد البرّ وهم محرمون بحجٍّ أو بعمرة، ويبيّن كفّارة من قتله متعمّداً، ذاكراً أنّه محرمٌ أو ناسياً، بأنَّ عليه مثل ما قتل من النّعم في الخِلْقة من الإبل والشّاء يحكم بذلك المثل شخصان عادلان: ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾، وواصل البلد الحرام، ﴿أو كفارةٌ طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره﴾، ويبيّن السّياق أنَّ الله سبحانه وتعالى قد عفا عن صيد البرّ في حقّ المحرم قبل التّحريم، أمّا من عاد إلى صيد البرّ فإنَّ الله سبحانه وتعالى العزيز ذا الانتقام سوف ينتقم منه في الدّنيا والآخرة. ومن باب الرّحمة بالعباد أحَلَّ الله سبحانه وتعالى للمحرمين وللمسافرين صيد البحر وما قذف به البحر ميتاً. ويؤكّد السّياق تحريم صيد البرّ ما دمنا محرمين ويأمرنا بتقوى الله تعالى الّذي سوف نُحْشَر إليه أجمعين.

وتحت عنوان: «حرمة المكان والزّمان وأحكامٌ في الحلال والحرام ومسؤوليّة النّاس عمّا يعملون»، درسنا الآيات الكريمات (٩٧ ــ ١٠٥) أشار السّياق إلى حرمة المكان المتمثّل في البلد الحرام وإلى حرمة الزّمان المتمثّل في الأشهر الأربعة الحرم وإلى حرمة ما يُهْدَى إلى البيت الحرام من النَّعَم غير المقلّدة والمقلّدة دليلاً على أنّها هدي. إنَّ هذه الحرمات التي قضى بها العليم الحكيم ليعلم النّاس أنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في السّماوات وما في الأرض، وليعلموا أنَّ الله تعالى القادر على كلّ شيء شديد العقاب وغفورٌ رحيم. أمّا الرّسول الكريم فليس عليه ﷺ سوى البلاغ والله سبحانه وتعالى يعلم من قبل ومن بعد ما نُبْدي وما نكتم، ما نظهر وما نخفي. وبقصد تصحيح المقاييس المضطربة لدى عديمي الإيمان أو ضعيفي

الإيمان ينفي السّياق أن يستوي الخبيث والطيّب ولو أعجب الإنسانَ كثرةُ الخبيث وحسن منظره فعلى أُولي العقول السّليمة أن يتّقوا الله تعالى لعلّهم يفلحون. ومن البيِّن أنَّ تفضيل الخبيث على الطيّب نوعٌ من الاعتداء بإحلال ما حرَّم الله تعالى، ومن البيِّن كذلك أنَّ السّؤال عن أشياء قبل أن ينزل بها القرآن ضربٌ من التّجاوز وقد عفا الله تعالى عن الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم أسئلتهم السّابقة على نهي الله تعالى لهم سؤال النّبيّ ﷺ عن أشياء إن تُبْد لهم تسؤهم فعليهم أن ينتظروا نزول القرآن الكريم بها وتبيين المصطفى ﷺ معانيها. إنَّ أناساً سابقين سألوا أنبياءهم ثمّ عجزوا عن احتمال التّكاليف. وممّا له علاقةٌ بالاعتداء وذلك بتحريم ما أحلّ الله تعالى البَحيرة والسّائبة والوصيلة والحامي الّتي كذب الكافرون الّذين لا عقول لهم فزعموا أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حرّمها. إنَّ هؤلاء الكافرين حينما يقال لهم هلّموا إلى ما أنزل الله تعالى وإلى الرّسول الكريم قالوا كافينا ما وجدنا عليه آباءنا ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون. وتجاه ضلال الآخرين، على المؤمنين أن يحفظوا أنفسهم فإلى الله تعالى مرجعهم جميعاً فينبّئهم بما كانوا يعملون.

وتحت عنوان: «تعاليم حين الوصيّة»، درسنا الآيات الكريمات (١٠٦ ــ ١٠٨) يخاطب السّياق الّذين آمنوا ويبيِّن لهم أنَّهم إذا حضرت أسباب الموت أحدهم في غير ديار الإسلام حين الوصيّة فالمطلوب اثنان ذوا عدل من المؤمنين، فإن لم يوجد المسلمون فاثنان من غير المسلمين. فإن كان ثمة ارتيابٌ في الشاهدين من قبل ورثة الميّت، فإنَّ على الوالي أن يحبسهما بعد الصّلاة كي يقسما بالله العظيم بأنهما لا يشتريان بقسمهما ثمناً ولو كان ذا قربى ولا يكتمان شهادة الله تعالى. إنَّهما إذاً لمن الآثمين. فإن

عثر من قبيل المصادفة أنّهما استحقّا إثماً ففي هذه الحال يقوم مقامهما اثنان من أقرب أقرباء الميّت الّذين حلّ بهم الظلم فيقسمان بالله العظيم بأن شهادتهما أحقّ من شهادة الوصيّين المتّهمين وبأنّهما ما اعتديا عليهما وإلاّ كانا من الظالمين. إنَّ ذلك الحكم أدنى أن يأتي الأوصياء بالشّهادة على وجهها أو يخافوا أن تردّ الأيمان إلى الورثة بعد رفض شهادتهم. ويأمر السّياق بتقوى الله تعالى وبالسّماع سماع قبول ويقرّر أنَّ الله تعالى لا يهدي القوم الفاسقين. وجمهور العلماء يرى أن شهادة غير المسلمين في حال عدم وجود المسلمين غير منسوخة وعليه فالآيات الكريمات محكمات. ونحن نرى هذا الرّأي وإنَّ الواقع ليؤيّده فإنَّ المسلمين هذه الأيام يمرّون في البلاد التي فيها المسلمون أقليّة بمثل هذه الظّروف.

وتحت عنوان: «من نعم الله تعالى على عيسى عليه السّلام وثواب الصادقين وعقاب الكاذبين»، درسنا الآيات الكريمات (١٠٩ ــ ١٢٠) ويبدأ الحديث بذكر يوم القيامة الّذي يجمع الله تعالى فيه الرّسل ويسألهم جلّ وعلا الّذي أحاط بكلّ شيءٍ علماً: ﴿ماذا أُجبتم﴾، ويكون جواب الرّسل تعبيراً عن الخلق العظيم الّذي فطرهم الله تعالى عليه: ﴿لا علم لنا إنَّك أنت علاَّم الغيوب﴾، وفي ذلك اليوم يأمر الله تعالى عيسى عليه السّلام أن يذكر نعمته جلّ وعلا عليه إذ أوجده من غير أب وعلى والدته التي ثبتت براءتها بنطق ابنها في المهد. ويذكر السّياق مجموعةً من مظاهر فضل الله تعالى على عيسى عليه السّلام والمعجزات التي أجراها على يديه عليه الصّلاة والسّلام. وقد راعنا ذكر «إذْ» وحذفها. لقد ذُكرت: «إذ» بين يدي معجزات خلق الطّين والنّفخ فيه وإحياء الموتى. وهي معجزاتٌ من نوعٍ واحد. وحُذفت: «إذ» بين يدي معجزة إبراء الأكمه والأبرص، رغم ذكر هذه

المعجزة بين يدي إخراج الموتى. ومن مظاهر فضل الله تعالى على عيسى عليه السَّلام كفّ بني إسرائيل عنه عليه السَّلام وقد همّوا بقتله، والإيحاء للحواريّين بالإيمان بالله تعالى ربّاً وبعيسى عليه السَّلام عبداً ورسولاً، واستجابة دعاء عيسى عليه السَّلام بنزول المائدة من السَّماء وسؤاله الله تعالى خير الرّازقين أن يرزقهم بعد أن صرَّح الحواريون الفقراء بحاجتهم إلى الطّعام وإلى الآية من السَّماء الدّالّة على أنّ عيسى عليه السَّلام رسول ربّ العالمين.

ويوم القيامة يسأل الله تعالى عيسى عليه السَّلام: ﴿أأنت قلت للنَّاس اتّخذوني وأمّي إلٰهين من دون الله﴾، ويكون الجواب من عيسى عليه السَّلام منزِّهاً لله تعالى ممّا ألصقه به جلّ وعلا الجاهلون مقرّراً الفصل الكامل بين مقام الألوهيّة وبين مكان العبوديّة. إنَّ الله سبحانه وتعالى علاَّم الغيوب، الشَّهيد على كلّ شيء الرقيب عليه. وإنَّ عيسى عليه السَّلام عبد الله ورسوله وقد قال وفعل ما أمره الله تعالى أن يقول ويفعل، فإن شاء الله تعالى العزيز الحكيم أن يعذّب عباده فبعدله وإن شاء أن يغفر لهم فبفضله. ويكون الوعد من الله تعالى بثواب الصادقين في جنّات النَّعيم التي تجري من تحتها الأنهار، والتي يخلدون فيها أبداً. ويتوّج ذلك النَّعيم المقيم برضا الله تعالى الّذي لا سخط بعده، وبرضاهم عن ذلك الخير العميم والثَّواب العظيم. وتختم آيات القسم بل آيات السّورة الكريمة بتقرير الحقيقة الأزليّة بأنَّ لله تعالى وحده لا شريك له ملك السّماوات والأرض ومن فيهنّ وما فيهنّ، وبأنَّ الله سبحانه وتعالى على كلّ شيءٍ قديرٌ وقد أحاط عزّ وجلّ بكلّ شيءٍ علماً.

وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

● ● ●

فہرست
المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): الرّسالة التّدمريّة. القاهرة ١٣٨٧هـ، نشرها قصيّ محبّ الدين الخطيب.

* ابن عطيّة (أبو محمّد عبد الحقّ بن عطيّة الأندلسيّ): المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق وتعليق الرّحالي الفاروقي، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السّيّد عبد العال السّيّد إبراهيم، محمّد الشافعي، صادق العناني. الطبعة الأولى. قطر ١٣٩٨هـ ١٩٧٧م.

* ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا): مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السّلام محمّد هارون. الطبعة الثانية. ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م. حلبي، مصر.

* ابن القيّم (محمّد بن أبي بكر): هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى. مكّة المكرّمة. مؤسّسة مكة للطباعة والنشر. من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة ١٣٩٦هـ رقم (٢). والتّفسير القيّم، جمع محمّد أويس النّدويّ، تحقيق محمّد حامد الفقي، بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

* ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير): تفسير القرآن العظيم. دار إحياء التراث العربيّ. بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

* ابن هشام (أبو محمّد عبد الملك): السّيرة النبويّة. تحقيق مصطفى السّقّا. إبراهيم الأبياري. عبد الحفيظ شلبي، حلبي، وتصوير بيروت.

* أبو حيّان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان): البحر المحيط. بيروت. تصوير.

* الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة): معاني القرآن. تحقيق د. فائز فارس. الكويت ١٩٧٩م.

* الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني): المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيّد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت. لبنان. بدون تاريخ.

* باجودة (د. حسن محمد): تأملات في سورة الإسراء. دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٨م، تأمّلات في سورة الفاتحة العدد رقم ١، من سلسلة دعوة الحقّ برابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة. تأمّلات في سورة محمد ﷺ. دار الاعتصام. القاهرة ١٩٨٠م. التّفسير البسيط للقرآن الكريم. الجزء السّادس منشورات وزارة الحجّ والأوقاف بالمملكة العربيّة السّعودية.

* البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم): كتاب الصّحيح. كتاب الشعب ١٣٧٨هـ.

* الزّمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي): الكشّاف. حلبي. مصر ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.

* السّموءل (بن يحيى المغربي): إفحام اليهود. تقديم وتحقيق وتعليق، د. محمد عبد الله الشرقاوي. طبع ونشر الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد. الرّياض ١٤٠٧هـ.

* السّيوطي (جلال الدين) تفسير الجلالين.

* صافي (محمود): الجدول في إعراب القرآن وصرفه. تصنيف محمود صافي. مراجعة لينة الحمصي. طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي. دولة قطر. دار الرّشيد. دمشق بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

* الطّبريّ (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري): جامع البيان في تفسير القرآن. الطبعة الأولى. بولاق ١٣٢٩هـ.

* الفرّاء (أبو زكريّا يحيى بن زياد): معاني القرآن. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٨٠م الطّبعة الثانية. وتصوير بيروت.

* الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط.

* القرطبيّ (أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): تفسير القرطبيّ. الجامع لأحكام القرآن. دار الشعب القاهرة. بدون تاريخ.

* المعجم الوسيط. الطبعة الثانية.

* المغربي (انظر السَّموءل بن يحيى).

* النَّيسابوريّ (أبو الحسين علي بن أحمد الواحديّ النَّيسابوريّ): أسباب النّزول. تحقيق السّيّد أحمد صقر الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار القبلة للثقافة الإسلامية. جدّة. مؤسسة علوم القرآن. سوريا. دمشق. بيروت.

* النَّيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري): غرائب القرآن ورغائب الفرقان. مطبوع بهامش تفسير الطبري. بولاق ١٣٢٩هـ.

* ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي): معجم البلدان. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

● ● ●

فهرست الموضوعات

الفهرس

الموضوع	أرقام الآيات	أرقام الصفحات
المقدّمة		٥
تمهيد		١١
١ ـ الأمر بالوفاء بالعقود والتّعاون على البرّ والتّقوى والبشارة بكمال الدين	١ ـ ٣	٢١
٢ ـ أحلّ اللّه لنا الطيّبات من الطعام والعفيفات من النساء وبيان كيفيّة الوضوء والتّيمّم	٤ ـ ٧	٦١
٣ ـ قوموا بالحقّ واشهدوا بالعدل للّه واذكروا نعمه واتّقوه وتوكّلوا عليه	٨ ـ ١١	١٠٣
٤ ـ نقض أهل الكتاب الميثاق وعليهم اتّباع الرّسول الخاتم محمد ﷺ	١٢ ـ ١٩	١١٧
٥ ـ القدس محرمةٌ على بني إسرائيل	٢٠ ـ ٢٦	١٥١
٦ ـ قتل النفس الواحدة كقتل كلّ الأنفس في العذاب، وإحياء النّفس الواحدة كإحياء كلّ الأنفس في الثّواب	٢٧ ـ ٣٢	١٨٥
٧ ـ جزاء المحاربين للّه ورسوله السّاعين في الأرض فساداً	٣٣ ـ ٤٠	٢٠٥
٨ ـ الّذين لا يحكمون بما أنزل اللّه تعالى		

الموضوع	أرقام الآيات	أرقام الصفحات
كافرون وظالمون وفاسقون	٤١ـ٤٧	٢٢٥
٩ ـ لا أحد أحسن من الله حكماً	٤٨ـ٥٠	٢٦٥
١٠ ـ لا تتّخذوا اليهود والنّصارى والمستهزئين أولياء وثواب المؤمنين وعقاب الكافرين	٥١ـ٦٦	٢٨٩
١١ ـ على الرّسول البلاغ، وعلى النّاس الاتّباع، وإنّ غلاة النّصارى كافرون، وإن كافري اليهود ملعونون.	٦٧ـ٨١	٣٣٣
١٢ ـ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا وأقربهم مودةً لهم وأمرٌ للمؤمنين بالطّريق الوسط وكفّارة الأيمان	٨٢ـ٨٩	٣٧٥
١٣ ـ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس	٩٠ـ٩٣	٤٠٣
١٤ ـ صيد البحر حلالٌ للمحرم وصيد البرّ حرامٌ عليه وكفّارته	٩٤ـ٩٦	٤١٧
١٥ ـ حرمة المكان والزّمان، وأحكامٌ في الحلال والحرام، ومسؤوليّة النّاس عمّا يعملون	٩٧ـ١٠٥	٤٢٩
١٦ ـ تعاليم حين الوصيّة	١٠٦ـ١٠٨	٤٤٧

الموضـــوع	أرقام الآيات	أرقام الصفحات
١٧ ـ من نعم اللّه تعالى على عيسى عليه السّلام وثواب الصّادقين وعـــقـــاب الكاذبين	١٠٩ـ١٢٠	٤٥٩
الخـاتمـــــة		٤٨٣
فهرست المصادر والمراجع		٥٠٧
فهرست الموضوعـات		٥١٣

مطابع الصفا مكة المكرمة ت : ٥٥٦٢٨١٠

ردمك : ١ ـ ٠٤ ـ ٦١٧ ـ ٩٩٦٠

مطابع الصفا - مكة ٥٥٦٢٨١٠